بسم الله الرحمن الرحيم

مع نهاية غزوةُ أُحدٍ، وما خلفته من جرحٍ وآلامٍ شديدة، فرسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ قد شُجَّتْ جبهتُه، وكُسِرتْ رُباعيتُه، وجُرِحتْ شَفَتُه، ودَخلتْ بعض حَلَقاتِ المِغفرِ في وَجنَتِه، وقُتل سبعونَ من خِيرةِ صحابتِه، بل ومُثِّلَ بِهم أبشع تمثيل، فَقُطِّعتْ أنوفُهم وآذانُهم، وبُقرتْ بطونُهم، ومن أشدهم تمثيلًا سيِّدُ الشُّهداءِ حمزةُ بنُ عبدِالمطلِّبِ رضى الله عنه، عمُّ النبي صلى الله عليه وسلم وأحب الناس إليه.. بالإضافة للجرحى والمكلومين، من قتل أباه أو أخاه، ومن فقدت زوجها وأخيها وأبيها.. فكانَ يومًا على المسلمينَ شديدًا مؤلما، حتى قالَ قائدُ المشركينَ يومئذٍ أبو سفيانَ: يَومٌ بيَومِ بَدرٍ، والحَربُ سِجالٌ.. ولكنَّ العَجيبَ أنَّه لَمَّا نزلتْ آياتُ سورةِ آلِ عِمرانَ وكان أكثرها عن غزوةِ أُحدٍ، جاء فيها: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، رسالةٌ ربَّانيةٌ، وعزاءٌ إلاهيٌ كريم: أنَّ أهلَ الإيمانِ والتقوى، هم الأعلى، وهم الأعزُّ، وهم الأقوى، حتى مع الضعف والجراح والبلوى، ومع الآلام وتسلُّطِ الأعداءِ...

فالمؤمنُ عزيزٌ بربِّه، عزيزٌ بدينِه، عزيزٌ بثباتِه على مبدأه وعقيدتِه.. ولذلكَ لَمَّا قالَ أبو سفيانَ: أُعْلُ هُبَلْ، قالَ صلى الله عليه وسلم: أَلَا تُجِيبُوه؟ قالوا: يا رَسولَ اللهِّ، ما نَقُولُ؟ قالَ: قُولوا: اللهُّ أَعْلَى وأَجَلُّ، فَقالَ أبو سُفيانَ: لَنَا العُزَّى ولَا عُزَّى لَكُمْ، فَقالَ صلى الله عليه وسلم: أَلَا تُجِيبُوه؟ قالَ: قالوا: يا رَسولَ اللهِّ، ما نَقُولُ؟ قالَ: قُولوا: اللهُّ مَوْلَانَا، ولَا مَوْلَى لَكُم.. فلما قال يوم بيوم.. أجابوه: لا سَوَاء، قَتلانَا في الجَنَّةِ وَقَتلاكُم في النَّارِ.. فسكت أبو سفيان وانصرف!!

كم أوذي المستضعفونَ من المسلمينَ منذ فجر التاريخ، وكم تعرضوا لأشدَّ أنواع العذابِ، عمَّارُ بنُ ياسرٍ وأبوهُ وأمُّه سمية، وبلالُ بنُ رباحٍ، وخبَّابُ بنُ الأرتِّ، وغيرهم كثير.. لكنهم مع ذلكَ كانوا أعزَّةً شامخين، أقوياء بإيمانهم، حتى عَجزَ عنهم صناديدُ قُريشٍ، وأصابهم الذُّل والهَزيمةُ النَّفسيةُ بسببِ يأسِهم من صدِّهم عن دينِهم وردهم عن عَقيدَتِهم.

إن الشعور بالدونيّة والهزيمة النفسية شرُّ هزيمة تُمْنى بها الأمة؛ والله جل في علاه أراد لأمة الإسلام أن تكون أمة عزيزة{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}[المنافقون: 8]؛ فمهما بلغ القرح، و استشرس عدوها فالله

تعالى يناديها:{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[آل عمران: 139]

*فعِزَّةُ المؤمنِ هيَ التي جَعلتْ الصحابي الجليل خُبيبَ بنَ عدِيٍّ رضى الله عنه يقفُ شامخًا أمامَ كُفَّارِ قُريشٍ، يُصلي ركعتينِ قبلَ مَقتلِه، وَيَقولُ: واللهِ لَولا أَن تَظنُّوا أني إنَّما طَوَّلتُ جَزَعًا من القَتلِ لاستكثَرتُ من الصَّلاةِ، ثُمَّ قالَ قبلَ أن يُصلبَ:

ولَستُ أُبالي حِينَ أُقتَلُ مُسلِمًا.. على أيِّ جنبٍ كانَ في اللهِ مَصرَعي..

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ.. يُبارِكْ على أوْصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ..

ثم دعا عليهم: اللهم احصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدًا..

*عِزَّةُ المؤمنِ :هي التي جَعلتْ أصحابَ الأخدودِ، لا يُبالونَ بتلك النيران العظيمةِ، التي أوقدها ذلك الملك الطاغية، وملأ بها الأخاديدَ في الطُّرقاتِ، ثم رمى بالمؤمنين فيها، يُحرِّقُ بعضُهم أمامَ بعضٍ، وهم في ثباتٍ عجيب على إيمانِهم، حتى تأتي المرأةُ ومعها طفلها الصغير، فتتقاعسَ عن الوُقوعِ خوفًا على صَغيرِها، فيَقولَ لَهَا الغُلَامُ: يا أُمَّاه، اصْبِري فإنَّكِ علَى الحَقّ..

*عِزَّةُ المؤمنِ هي التي جَعلَتْ الإمامَ أحمدَ بنَ حنبلٍ رحمَه اللهُ يقفُ موقفَ الجبالِ الرَّاسياتِ، رغم طول السِّجنِ وكثرة التعذيب والجَلدِ، حتى غدا علمًا وإمامًا لأهلِ السُّنةِ والجَماعةِ..

*عزة المؤمن: هي التي جعلتْ شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميةَ رحمه الله يَقولُ عندما أغلقوا عليه باب السجن: مَا يَفعلُ أَعدائي بي، إنَّ سِجنيَ خَلوةٌ، ونَفييَ سِياحةٌ، وقَتليَ شَهادةٌ..

-ولئن كانت الأمة تمرّ في أوقاتها الراهنة بأوضاعٍ من الضعف والهوان، بينما يمرّ أعدائها بموجةٍ من الاستعلاء وقوة النفوذ، فإن ذلك بعون الله يشيرُ إلى فرجٍ قريب بإذن الله...

فلئن كان الباطل يزداد بطشًا وطغيانًا وصورة ذلك لا تحتاج إلى برهان - كما نرى فعل الشيعة الروافض بأهل السنة في سوريا أو الصهاينة إخوانهم في فلسطين- فإن تلك وفق سنة الله بداية نهايتهم بإذن الله{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}[يوسف: 110]{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[البقرة: 214]{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي

الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}..

وإن أمل المسلم بالفرج وثقته بنصر ربه عقيدةٌ راسخةٌ في قلبه، أصَّلها كتاب الله تعالى بقوله:{وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}[يوسف: 87]، فالبلاء مهما عظم فإنما يُحتملُ بعظم الرجاء في الله، وإنما طريق الفرج الثقة بنصر الله القائل:{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ}[الصافات: 171]..وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مليئان بالمبشِّرات

*وأمّةُ الإسلام أكرمها الله بدينٍ عصِيٍّ على الفناء، له قدرةٌ عجيبةٌ على بعثِ الروح الهامِدَة، وتحريك الهممِ الجامدة،{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}[آل عمران: 196]

والمنهج الرباني للعودة للريادة والعزة تؤكده آيتين كريمتين من كتاب الله.. الأولى :{إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}[يوسف: 90].والثانية:{وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ}[يوسف: 87]..الآيةِ الأولى نهجٌ واضحٌ في التحلي بالصبرِ والاستقامة على التّقوى، وفي الأخرَى استنادٌ إلى عون الله في التطلع لمستقبَلٍ أفضل، مهما أظلَمَت الآفاق وتراكمت الخطوب، يقول الأديب الإسلامي الكبير: مصطفى صادق الرافعي.. جرت سنة الحياة أن يكون النصر لمن يحتمل الضربات، لا لمن يضربها، وأن النصر مع الصبر.. فمن صبر ظفر..

ووالله إن العزة باقيةٌ وستبقى لأهل الحقِّ والإيمان ما استقاموا على النهج، وأصلحوا أحوالهم، وأخذوا بأسباب التقدم والرقي، ذلك أن العزة لا تجتمع مع السفاسف والدنايا والبعد عن منهج الله.. فاللهُ تَعالى قد ربطَ العزَّةَ بالإيمانِ فقالَ :{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}[المنافقون: 8]، فمتى وُجِدَ الإيمانُ، وُجِدَتْ العِزَّةُ، فَصبرًا يا أهلَ الإسلام فالنصر قادم بإذن الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين